أغاثا كريستي

عيّنة من الرواية

(للتصفح والاطّلاع)

مَوتٌ فوقَ النّيل

بسم الله الرحمن الرحيم

أغاثا كريستي

مَوتٌ فوقَ النّيل

طُبعت للمرّة الأولى باللغة الإنكليزية عام ١٩٣٧

ترجمة: محمود الخطيب

مراجعة الترجمة: نبيل عبد القادر البرادعي

تحرير: رمزي رامز حسّون

الأجيال للترجمة والنشر
AJYAL Publishers

هذه الترجمة تضم النصّ الكامل لرواية أغاثا كريستي
المنشورة أول مرة عام ١٩٣٧ بعنوان

Death on the Nile

Copyright Agatha Christie Mallowan 1937

حقوق الطبع محفوظة للناشر:
الأجيال للترجمة والنشر والتوزيع

يُمنَع نقل أو تخزين أو إعادة إنتاج أي جزء من هذا الكتاب
بأي شكل أو بأية وسيلة: تصويرية أو تسجيلية أو إلكترونية
أو غير ذلك إلا بإذن خطي مسبَق من الناشر

Arabic edition published by AJYAL *Publishers*
e-mail: books@al-ajyal.com

الطبعة الثالثة
٢٠٢٠

الفصل الأول

-١-

- لينيت رِدجْوي؟

ردّ السيد بيرنابي صاحب فندق ثري كراونْز: تلك هي!

ثم وكز رفيقه، فحملق الرجلان بعينين مشدوهتين وفم فاغر.

كانت سيارة رولز رويس كبيرة قرمزية اللون قد توقفت لتوها أمام مكتب بريد القرية. قفزت من السيارة فتاة لا تضع قبعة وترتدي ثوباً ذا مظهر بسيط ولكنه غالي الثمن، فتاة رشيقة ذهبية الشعر تبدو عليها ملامح قوة الشخصية، فتاة نادراً ما يُرى مثلها في بلدة مولتِنْوُد، ودخلت مكتب البريد بخطوات سريعة واثقة.

قال السيد بيرنابي مرة أخرى: "تلك هي"! ثم أكمل يقول بصوت خافت: إنها تملك الملايين... سوف تنفق الآلاف على هذا المكان، ستنشئ حدائق إيطالية وقاعات كبيرة، وقد تهدم نصف البيت ثم تعيد بناءه.

قال صديقه: ستجلب الأموال إلى البلدة.

كان هذا الصديق رجلاً نحيلاً رث الثياب، وكانت في صوته نبرة حسد وشكوى.

وافقه السيد بيرنابي قائلاً: نعم، إنه أمر عظيم لبلدتنا.

كان السيد بيرنابي راضياً بالأمر، وأضاف يقول: سوف تنعش الحياة عندنا.

ردّ عليه الآخر: إنها تختلف عن السير جورج كثيراً.

- آه، هذا ما فعلته به مراهنات الخيول... لم يكن له أي حظّ.

- وكم تقاضى ثمناً للبيت.

- ستين ألفاً على الأقل... هذا ما سمعته.

صفر الرجل النحيل متعجباً، فأكمل السيد بيرنابي حديثه مزهواً: ويقولون إنها ستنفق ستين ألفاً أخرى قبل أن تكمل إصلاحه.

- يا إلهي! من أين حصلت على كل هذه الأموال؟

- من أمريكا كما سمعت؛ كانت أمها هي الابنة الوحيدة لأحد الأثرياء الكبار... كما يحدث في الأفلام، أليس كذلك؟

خرجت الفتاة من مكتب البريد وركبت السيارة، وبينما كانت السيارة تتحرك مبتعدة تبعها الرجل النحيل بنظراته ثم تمتم قائلاً: إن مظهرها هكذا يبدو غير طبيعي... المال والجمال، هذا كثير جداً! إن كانت بهذا الغنى فليس من حقها أن تكون جميلة أيضاً. لكنها جميلة فعلاً! إنها تملك كل شيء... هذا كثير على شخص واحد.

-٢-

مقطع من عمود الأخبار الاجتماعية في صحيفة ديلي بليغ:

لوحظت بين الحاضرين على العشاء في مطعم تشيزماتانت الحسناء لينيت ردجوي، وكانت مع السيدة جوانا ساوثْوُد واللورد ويندلشام والسيد توبي برايس. وكما يعلم الجميع فإن الآنسة ردجوي هي ابنة ميلهويش ردجوي الذي تزوج آنا هارتز، وقد ورثت ثروة عظيمة من جدها ليوبول هارتز. والآنسة لينيت هي حديث الساعة، وتتحدث بعض الشائعات عن خطوبة قد تُعلن قريباً.

-٣-

قالت جوانا ساوثْوُد: أظن أن كل شيء سيكون رائعاً تماماً يا عزيزتي.

كانت تجلس في غرفة نوم لينيت ردجوي في منزل «وُدْهول»، وكانت النافذة تطل على الحدائق ومن ورائها ظلال الغابات الداكنة.

قالت لينيت وهي تضع ذراعيها على عتبة النافذة: أليس هذا بالمنظر الرائع؟

بدا وجهها متلهفاً ينبض بالحيوية والنشاط، وبدت جوانا ساوثْوُد إلى جانبها باهتة قليلاً. كانت شابة في السابعة والعشرين من عمرها، طويلة نحيلة ذات وجه يوحي بالذكاء وحاجبين رُسما

بطريقة غريبة. قالت: لقد عملتِ أشياء كثيرة خلال هذا الوقت. هل استخدمت عدداً كبيراً من المهندسين المعماريين؟

- ثلاثة.

- وكيف هم المهندسون؟ لا أظنني رأيت مهندساً من قبل.

- لا بأس بهم، لكني أجدهم غير عمليين أحياناً.

- ستتغلبين على هذه المشكلة قريباً، فأنت فتاة عملية.

تناولت جوانا عن طاولة الزينة عقداً من اللؤلؤ قائلة: أظن أنه لؤلؤ طبيعي، أليس كذلك يا لينيت؟

- بالطبع.

- أعرف أن الأمر طبيعي بالنسبة لك يا حبيبتي، لكنه لن يكون كذلك بالنسبة لكثير من الناس. إنها لآلئ صُقلت بشكل رائع، وربما كانت من صنع ولورث. إنها عظيمة بالفعل؛ متماثلة بشكل غريب. لا بد أنها تساوي مبلغاً أسطورياً؟

- إنني أراه عقداً سوقياً إلى حد ما، ما رأيك؟

- لا، أبداً، إنه قمة الجمال. ما هي قيمته؟

- نحو خمسين ألفاً.

- يا له من مبلغ كبير جداً! ألا تخشين من سرقته؟

- لا، فأنا أضعه دائماً، وهو مغطى بالتأمين على أي حال.

- هل تسمحين لي باستعارته على العشاء يا عزيزتي؟ إنه

سيشعرني بإثارة عظيمة.

ضحكت لينيت وقالت: بالطبع، إن شئت.

- كم أحسدك يا لينيت! لقد حصلت على كل شيء، فها أنت فتاة في العشرين سيدة نفسك وتملكين ثروة كبيرة وجمالاً وصحة عامرة، كما أنك ذكية أيضاً. متى ستبلغين الحادية والعشرين؟

- في حزيران (يونيو) القادم، وسأقيم وقتها حفلة عظيمة في لندن بمناسبة بلوغي سن الرشد.

- وهل ستتزوجين تشارلز ويندلشام عندئذ؟ إن كتّاب الإشاعات مهتمون بالحدث تماماً، كما أنه متعلق بك كثيراً.

رفعت لينيت كتفيها بلامبالاة وقالت: لا أعرف... لم أقرر الزواج بأحد بعد.

- كم أنت محقة في ذلك يا عزيزتي! الحياة قبل الزواج ليست نفسها بعده أبداً، أليس كذلك؟

رن جرس الهاتف فذهبت لينيت ورفعت السماعة مستفسرة، فأجابها صوت الخادمة: الآنسة دي بيلفورت على الخط. هل أحوّلها؟

- بيلفورت؟ آه، بالطبع، نعم.

أجابها صوت ناعم لاهثاً: مرحباً، الآنسة ردجوي؟ لينيت؟

- عزيزتي جاكي! لم أسمع صوتك منذ مدة طويلة.

- نعم، وهذا مؤسف فعلاً. أنا مشتاقة جداً لرؤيتك يا لينيت.

- ألا يمكنك زيارتي هنا؟ لعبتي الجديدة... أحب أن أريك إياها.

- هذا ما سأفعله تماماً.

- حسناً، اقفزي في قطار أو سيارة وتعالي.

- جيد، سأفعل؛ سآتيك بسيارة قديمة ذات مقعدين اشتريتها بخمسة عشر جنيهاً. أحياناً تسير بشكل رائع، لكنها تغير رأيها أحياناً أخرى، فإذا لم أصل وقت الشاي فاعلمي أنها غيرت رأيها! إلى اللقاء يا حبيبتي.

وضعت لينيت السماعة، ثم ذهبت إلى جوانا قائلة: إنها أقدم صديقاتي، جاكلين دي بيلفورت. كنا معاً في مدرسة في باريس. كان حظها بالغ السوء، فقد كان والدها كونتاً فرنسياً وأمها أمريكية من الجنوب، ثم رحل والدها مع امرأة وفقدت أمها كل أموالها في انهيار البورصة وتركت جاكي مفلسة تماماً. لا أدري كيف تدبرت أمور حياتها في السنتين الأخيرتين.

كانت جوانا تلمّع أظافرها باستعمال طلاء الأظافر الخاص بصديقتها، أسندت ظهرها إلى الوراء ورأسها يميل إلى أحد الجانبين وهي تتأمل أظافرها ثم قالت: أليس هذا مضجراً يا عزيزتي؟ لو حلّت أي مصائب بأصدقائي فإنني أتخلى عنهم فوراً! إن هذا يبدو قاسياً ولكنه يوفر الكثير من المتاعب لاحقاً، فهنّ يردنَ دوماً الاقتراض منك أو يُنشئن مشاريع أزياء صغيرة فيجب عليك أن تشتري منهن ملابس فظيعة لا تطاق، وقد يقمن بغير ذلك من الصناعات المنزلية التي يفرضن عليك شراءها...

- إذن لو فقدت كل أموالي فسوف تتخلين عني غداً؟

- نعم، هذا ما سأصنعه يا عزيزتي. لا يمكنك القول إنني غير صادقة في ذلك! أنا أحب الناس الناجحين فقط، وستجدين أن هذه حقيقة تنطبق على كل الناس تقريباً إلّا أن معظمهم لا يعترفون بها، بل هم يكتفون بالقول إنهم لا يستطيعون الاستمرار في دعم فلان أو فلانة! وربما أضافوا: إن متاعب فلان قد جعلته غريب الأطوار... يا له من مسكين!

- يا لك من قاسية يا جوانا!

- أنا أبحث عن الكسب فقط... ككل الناس.

- أنا لا أبحث عن الكسب.

- لديك أسبابك الواضحة! لن تضطري إلى ذلك وأنت تتلقين من أولئك الأوصياء الأمريكيين المهذبين دفعة ضخمة مرة كل ثلاثة أشهر.

- كما أنك مخطئة بشأن جاكلين، فهي ليست من النوع الذي يعيش عالة على غيره. لقد أردت مساعدتها لكنها لم تقبل؛ إنها عزيزة النفس جداً.

- ولماذا هي مستعجلة لرؤيتك لهذه الدرجة؟ أراهنك أنها تريد منك شيئاً؛ انتظري وسترين.

- إنها تبدو منفعلة بسبب شيء معين، هكذا جاكي دائماً تتحمس كثيراً للأمور وتنفعل... ذات مرة طعنت شخصاً بسكين الجيب.

- يا له من عمل مخيف!

- كان ولداً يحاول إثارة كلب. حاولت جاكي وقفه لكنه لم يُصغِ إلى كلامها، فسحبته وهزّته بيديها لكنه كان أقوى منها بكثير، وفي النهاية سحبت من جيبها سكيناً صغيرة وطعنته بها!

دخلت خادمة لينيت الغرفة، اعتذرت ببعض الكلمات ثم أخذت من الخزانة ثوباً وخرجت.

سألت جوانا صديقتها: ما بال ماري؟ يبدو أنها كانت تبكي.

- يا لها من مسكينة! لقد أخبرتك بأنها كانت تعتزم الزواج برجل يعمل في مصر، ولم تكن تعرف عنه الكثير فأحببت أن أتحقق من صلاحيته، وقد ظهر أنه متزوج وله ثلاثة أطفال!

- ستجعلين لك أعداء كثيرين يا لينيت.

بدت لينيت ذاهلة: أعداء؟

أومأت جوانا قائلة: نعم، أعداء يا عزيزتي، فأنت ذات كفاءة كبيرة وبارعة جداً في معرفة التصرف الصحيح.

ضحكت لينيت وقالت: ليس لي أي عدو في هذا العالم.

-٤-

جلس اللورد ويندلشام تحت شجرة أرْز واستقرت نظراته على التناسق الرائع لمنزل وُدهول. لا شيء يفسد جمال العالم القديم الذي يوحي به هذا البيت، فالمباني الجديدة كانت تختفي عن

الأنظار خلف الزاوية. كان منظراً جميلاً وهادئاً تحت أشعة شمس الخريف، ولكنه رأى حين أمعن النظر فيه أن هذا المنزل الذي يراه أمامه لم يعد وُدْهول. وبدلاً من ذلك تخيل أن الذي أمامه هو قصر إليزابيثي الطراز ذو حديقة ممتدّة منحدرة وخلفية مكشوفة... كان ما رآه هو منزل عائلته الخاص «تشارلتونبري»، وأمامه وقفت فتاة ذات شعر ذهبي لامع ووجه متلهف واثق، وقفت لينيت سيّدةً لمنزل تشارلتونبري!

أحس بالأمل. إن رفضها الزواج به لم يكن رفضاً قاطعاً، بل كان أقرب إلى التماس مزيد من الوقت، وهو يستطيع الانتظار قليلاً.

كان كل شيء مناسباً لدرجة مذهلة؛ فمن المؤكد أن زواجه بفتاة ثرية يعتبر أمراً مرغوباً، ولكنه لم يكن ليبلغ في ضرورته حداً يدفعه لتنحية مشاعره الخاصة جانباً. لقد أحب لينيت وكان من شأنه أن يتزوجها حتى لو كانت مُعدَمة فقيرة وليست إحدى أغنى فتيات إنكلترا. إلّا أنها كانت كذلك لحسن الحظ، كانت بالفعل إحدى أغنى فتيات إنكلترا.

وتراقصت في عقله مشاريع مستقبلية جميلة. ربما أصبح سيد روكسديل بالإضافة إلى استعادة الجناح الغربي، ولا حاجة به لتأجير الأرض للصيادين... ومضى تشارلز ويندلشام يحلم تحت الشمس.

-٥-

كانت الساعة الرابعة عندما توقفت السيارة الصغيرة المهترئة ذات الصوت المزعج، وخرجت منها فتاة صغيرة الجسم نحيلة

سوداء الشعر فصعدت درجات البيت ركضاً ورنَّت الجرس. وبعد دقائق قليلة كانت تدخل غرفة الاستقبال الكبيرة الفخمة برفقة كبير الخدم الذي قدمها: الآنسة دي بيلفورت.

- لينيت!

- جاكي!

كان ويندلشام يقف منزوياً وهو يراقب بتعاطف هذه المخلوقة الصغيرة المتّقدة وهي تلقي بنفسها على لينيت وتعانقها.

- لورد ويندلشام... الآنسة دي بيلفورت، فُضلى صديقاتي.

رآها طفلة جميلة. ليست جميلة تماماً، ولكنها جذابة جداً بشعرها الأسود المتموج وعينيها الواسعتين. تمتم كلمات لباقة لا معنى لها ثم انسحب تاركاً الصديقتين معاً.

انقضّت جاكلين عليها بطريقة تذكرت لينيت أنها من الصفات المتأصلة فيها: ويندلشام؟ إنه الرجل الذي تقول الصحف إنك ستتزوجينه! هل هذا صحيح يا لينيت؟ هل ستفعلين؟

- ربما!

- يا حبيبتي، كم أنا سعيدة! إنه يبدو لطيفاً.

- آه، لا تقطعي بهذا الأمر، فأنا لم أحزم أمري بعد.

- بالطبع، فالملكات يتمهلن طويلاً عندما يخترن أزواجهن!

- لا تكوني سخيفة يا جاكي.

- لكنك ملكة فعلاً يا لينيت. كنت دائماً هكذا، صاحبة الجلالة لينيت، لينيت الشقراء! وأنا، أنا وصيفة الملكة، الوصيفة الأمينة.

- ما هذا الهراء الذي تقولينه يا عزيزتي جاكي؟ وأين كنت كل هذه المدة؟ لقد اختفيت ولم تكتبي لي أي رسالة.

- أنا أكره كتابة الرسائل. أين كنت؟ كنت غارقة حتى أُذُنيّ يا عزيزتي، مشغولة بالأعمال... أعمال مَقيتة مع نساء مَقيتات.

- ليتك يا عزيزتي...

- تقبلين هبة الملكة؟ حسناً، بصراحة هذا هو ما جئت من أجله يا عزيزتي. لا، ليس لكي أقترض المال فلم يصل بي الأمر إلى هذا الحد بعد، بل جئت أطلب منك معروفاً كبيراً.

- هيا اطلبي.

- إذا كنت ستتزوجين هذا الرجل ويندلشام فسوف تفهمين.

بدت لينيت حائرة لبعض الوقت، ثم ما لبثت أن أشرق وجهها: هل تقصدين يا جاكي...؟

- نعم يا عزيزتي، أنا مخطوبة.

- هكذا إذن؟ لقد رأيت كيف تبدين مفعمة بالحيوية والنشاط. أنت دائماً هكذا بالطبع، ولكنك الآن أكثر حيوية من العادة.

- هذا ما أشعر به تماماً.

- أخبريني بكل شيء عنه.

- اسمه سيمون دويل. إنه ضخم الجسم وبسيط للغاية وصبياني ولطيف جداً جداً، وهو فقير لا مال له. إنه ممّن يمكنك تسميتهم «عائلات الريف المحترمة»، ولكنه فقير جداً، وهو الابن الأصغر في العائلة. أهله من ديفونشاير، وهو يعشق الريف وحياة الريف. في السنوات الخمس الماضية كان يعمل في أحد المكاتب المكتظة بالموظفين في لندن، وهم الآن يسرّحون بعض موظفيهم، وهكذا فقدَ وظيفته. لينيت، سأموت إن لم أتزوجه! سأموت، سأموت!

- لا تكوني سخيفة يا جاكي.

- أقول لك إنني سأموت! أنا مجنونة به وهو مجنون بي أيضاً؛ لا يستطيع أي منا العيش دون صاحبه.

- إن حالتك سيئة يا عزيزتي!

- أعرف. إنه أمر فظيع، أليس كذلك؟ إن هذا العشق يسيطر على نفسك فلا تستطيعين فعل أي شيء حياله.

سكتت لبعض الوقت واتسعت عيناها السوداوين وبدا وجهها مأساوياً فجأة، ثم ارتجفت قليلاً وقالت: إنه يبدو أمراً مخيفاً أحياناً! لقد خُلقنا أنا وسيمون كل منا للآخر. لن أهتم بأي شخص سواه، ويجب أن تساعدينا يا لينيت. سمعت أنك اشتريت هذا البيت مما جعلني أفكر في شيء. اسمعيني، سوف تحتاجين إلى وكيل عقارات وربما اثنين، هل يمكن أن تمنحي هذه الوظيفة لسيمون؟

فوجئت لينين، وأكملت جاكلين تقول بسرعة: إنه من أبرع الناس في مثل هذه المسائل، وهو يعرف كل شيء عن العقارات

الكبرى لأنه نشأ في واحد منها بالإضافة إلى خبرته العملية. أرجوك يا لينيت أن تعطيه هذه الوظيفة من أجل الحب الذي بيننا، وإذا لم يعجبك عمله بعد ذلك فاطرديه... لكنه سيعجبك حتماً. نستطيع العيش في بيت صغير وسأراك كثيراً، كما أن كل شيء في الحديقة سيكون رائعاً وجميلاً.

نهضت وقالت: قولي بأنك موافقة يا لينيت، قولي ذلك يا عزيزتي! لينيت الجميلة، لينيت الطويلة الشقراء، لينيت صديقتي الخاصة... قولي إنك موافقة.

- جاكي!

- هل أنت موافقة؟

انفجرت لينيت ضاحكة: يا لك من سخيفة يا جاكي! أحضري فتاك ودعيني أقابله، وسوف نناقش الموضوع.

انقضت جاكي عليها تقبّلها بحرارة: حبيبتي، لينيت... أنت صديقة حقيقية! أعرف ذلك، أنت لا تخذلينني أبداً... أنت أجمل شيء في هذا العالم. إلى اللقاء.

- ولكن ابقي هنا يا جاكي.

- أنا؟ لا، لن أبقى بل سأعود إلى لندن، وسآتي غداً ومعي سيمون حتى ننهي الموضوع. ستحبينه، إنه لطيف حقاً.

- ولكن ألا يمكنك الانتظار حتى نشرب الشاي؟

- لا، لا أستطيع الانتظار يا لينيت. أنا في غاية الانفعال؛

يجب أن أعود لأخبر سيمون. أعرف أنني مجنونة يا عزيزتي لكني لا أملك غير ذلك. أظن أن الزواج سيشفيني، يبدو دائماً أنه ذو أثر مهدّئ على الناس.

ثم مضت، وعند الباب التفتت ووقفت لحظة، ثم عادت مندفعة لتعانق صديقتها مرة أخرى وهي تقول: لينيت، عزيزتي، لا أحد في الدنيا مثلك!

-٦-

لم يكن السيد غاستون بلوندين (صاحب ذلك المطعم العصري الصغير تشيزماتانت) رجلاً يبشّ في وجوه الكثير من زبائنه أو يعاملهم معاملة خاصة، فقد ينتظر الأغنياء والجميلات والمشهورون والنبلاء عبثاً دون أن يحصلوا على اهتمام خاص أو معاملة مميزة. لكنه في مناسبات نادرة جداً يأتي بتنازل مهيب لتحية ضيف ومرافقته إلى مائدة مميزة وتبادل عبارات التحية والمجاملة معه.

وفي هذه الليلة بالذات مارس السيد بلوندين هذا الامتياز الملكي ثلاث مرات، مرة مع إحدى الدوقات، وثانية مع أحد النبلاء المشهورين، والثالثة مع رجل ضئيل صغير الجسم ذي مظهر مضحك وشاربين ضخمين أسودين قد يظنه الزائر الغريب رجلاً لا يشرّف هذه المطعمَ حضورُه.

ولكن اهتمام السيد بلوندين وحفاوته بهؤلاء الأشخاص كان مبالَغاً به لدرجة تثير الحسد. ورغم أن الزبائن قد تم أُخبروا طوال نصف الساعة الماضية بأن أحداً لا ينبغي له أن يجلس على تلك

الطاولة المعينة إلّا أن زبوناً ظهر فجأة وتمت مرافقته إلى تلك الطاولة بكثير من العناية والاهتمام بواسطة السيد بلوندين نفسه.

- بالطبع، أنت بالذات لك طاولة خاصة يا سيد بوارو. أتمنى لو أنك تشرّفنا بزيارتك دائماً.

ابتسم هيركيول بوارو وهو يتذكر تلك الحادثة التي لعبت فيها الأدوار جثةٌ ونادل وسيدة جميلة جداً، بالإضافة إلى السيد بلوندين نفسه. ثم قال: أنت في غاية اللطف يا سيد بلوندين.

- أأنت بمفردك يا سيد بوارو؟

- نعم، أنا وحدي.

- حسناً، سيؤلف لك جوليس، كبير الطباخين، وجبة صغيرة رائعة ستراها أقرب إلى قصيدة شعرية! ستستمتع بعشائك يا سيد بوارو، أعدك بذلك.

ثم دار نقاش فنّي حول الطعام والشراب بمساعدة جوليس، وقبل أن يتركه السيد بلوندين تريث لحظة ليسرّ له بسؤال: هل لديك قضايا خطيرة تعالجها؟

هز بوارو رأسه نافياً وقال بهدوء: للأسف لست سوى رجل يستمتع بوقت فراغه؛ لقد اقتصدت في أيام عملي ولديّ الآن وسائل الاستمتاع بحياة الكسل.

- كم أحسدك على هذا!

- لا، لا؛ ليس هذا من الحكمة. أؤكد لك أن الأمر ليس فيه

مرح ولهو كما يبدو. كم هو صحيحٌ ذلك القول بأن الإنسان أُكره على اختراع العمل ليهرب من عناء التفكير!

فتح السيد بلوندين يديه وقال: ولكن هناك الكثير... السفر مثلاً؟

- نعم، السفر. وأنا لن أقصّر فيه؛ سأزور مصر في هذا الشتاء. يقولون إن الجو فيها رائع. أريد أن أهرب من الضباب ومن رتابة هطول المطر بشكل مستمر.

قال السيد بلوندين معجباً: آه، مصر!

- حتى إن المرء يستطيع السفر إلى مصر الآن بالطائرة كما أظن، متلافياً سفر البحر.

- آه، البحر! أنا لا أتفق معك في الامتعاض من ركوبه.

هز هيركيول بوارو رأسه وارتعش قليلاً. و

قال السيد بلوندين مبدياً تعاطفه: إنني أفهمك، غريب ذلك التأثير الذي يسببه البحر على المعدة.

- لكنه لا يؤثر على أُناس معينين؛ بعض الناس لا تؤثر فيهم رحلة البحر مهما كانت، بل إنهم يستمتعون بها.

هز السيد بلوندين رأسه أسفاً ومضى عابساً، ثم جاء النُّدُل ذوو الرشاقة والأيدي الماهرة بالمقبّلات التي تليق بوجبة فاخرة.

نظر هيركيول بوارو حوله مسجّلاً بعض الانطباعات داخل عقله المنظم. كم هي ضَجِرة سَئمة معظم هذه الوجوه! ومع ذلك

فإن بعض هؤلاء الشبان يستمتعون بوقتهم، مع أن علامات التحمّل الصابر بادية في وجوه السيدات اللاتي تصاحبنَهم. تلك المرأة البدينة صاحبة الثوب الأرجواني تبدو سعيدة ومتألقة. لا شك أن للبدانة في هذه الحياة تعويضاً: الحيوية والنشاط، وهما لا يتوفران لدى أولئك الذي يتبعون موضة الرشاقة.

عدد كبير من الشبان هنا وهناك... بعضهم بنظرات لا تَشي بشيء، وآخرون ضجرون، وآخرون تعساء بالتأكيد. كم هو سخيف الزعم بأن الشباب هو وقت السعادة! إن الشباب هو وقت الهشاشة والضعف أمام كل المؤثرات الضارة!

هدأت نظراته وهو ينظر إلى زوجين جلسا إلى طاولة قريبة، زوجين يليقان ببعضهما البعض تماماً؛ رجل طويل القامة عريض المنكبين وفتاة نحيلة ناعمة، كانا اثنين تبدو عليهما سعادة كاملة، سعادة بالمكان وبالساعة الحاضرة وببعضهما البعض. كانت الفتاة محمَرّة الوجه تضحك، وعندما أدارت رأسها استطاع بوارو تأمّل وجهها وهي تضحك لرفيقها.

كان في عينيها شيء آخر غير الضحك، وهزّ هيركيول بوارو رأسه مرتاباً ثم قال يحدث نفسه: تلك الصغيرة تهتم به كثيراً، وهذا ليس آمناً. نعم، ليس آمناً.

تناهت إلى سمعه كلمة «مصر». وصلته أصواتهما بوضوح، صوت الفتاة الذي يوحي بالحيوية والغرور مع مسحة بسيطة من لكنة أجنبية في حرف الراء، وصوت الشاب العذب الخفيف النبرات بلهجة العائلات الإنكليزية العريقة.

- لا أريد أن أُمنّي نفسي قبل الأوان يا سيمون؛ قلت لك إن لينيت لن تخذلنا.

- أنا الذي قد أخذلها.

- هراء، إنها وظيفة مناسبة لك.

- وهذا هو ما أظنه؛ لا تساورني أدنى شكوك في قدراتي، كما أنني سأبذل جهدي لكي أكون أهلاً لهذا العمل من أجلك.

ضحكت الفتاة ضحكة هادئة، ضحكة كلها غبطة وسعادة.

- سننتظر ثلاثة أشهر حتى نتأكد من أنك ثابت في العمل، وبعدها...

- وبعدها سأغدق عليك كل خيراتي، أليس هذا ما يقولونه؟

- وكما قلت سنذهب إلى مصر لقضاء شهر العسل، وليكلفنا ذلك ما يكلف! لقد أردت دوماً السفر إلى مصر، طوال حياتي... النيل والأهرام والرمال.

قال بصوت مبهم: سنراها معاً يا جاكي، معاً. ألن يكون الأمر رائعاً؟

- لا أدري، هل سيكون رائعاً بالنسبة لك كما هو بالنسبة لي؟ هل تهتم بي حقاً بقدر اهتمامي بك؟

أصبح صوتها حاداً فجأة، واتسعت عيناها بشيء يكاد يكون خوفاً. كان ردّ الرجل سريعاً ومقتضباً: لا تكوني سخيفة يا جاكي.

لكن الفتاة كررت عبارتها: لا أدري.

همس هيركيول بوارو يحدث نفسه: وأنا أيضاً لا أدري.

-٧-

قالت جوانا ساوثْوُد: وماذا لو كان مجرماً شقياً؟

هزت لينيت رأسها: آه، لن يكون كذلك، أنا أثق بذوق جاكلين.

- لكن الناس لا يتصرفون وفق طبائعهم في العلاقات العاطفية.

هزت لينيت رأسها وقد نفد صبرها، ثم غيّرت مجرى الحديث قائلة: سأذهب لرؤية السيد بيرس بشأن تلك الخرائط.

- خرائط؟

- نعم، بعض الأكواخ القديمة الفظيعة غير الصحية... أريد هدمها ونقل سكانها منها.

- يا له من إجراء صحي يراعي المصلحة العامة يا عزيزتي!

- كانوا سيضطرون للرحيل على أي حال. هذه الأكواخ سوف تطل على بركة السباحة الجديدة في بيتي.

- وهل يرغب سكان هذه الأكواخ بالرحيل؟

- معظمهم فرحون بذلك، إلّا أن عدداً قليلاً منهم يتصرفون بغباء. الأمر متعب حقاً؛ يبدو أنهم لا يدركون كيف ستتحسن ظروف حياتهم جذرياً.

- أظن أنك تتصرفين في هذا الأمر دون مراعاة مشاعر الآخرين.

- يا عزيزتي، هذا لمصلحتهم في الحقيقة.

- نعم... فائدة إجبارية.

قطبت لينيت جبينها، وضحكت جوانا وقالت: هيا، اعترفي بأنك طاغية مستبدة، طاغية عادلة إن شئت ذلك!

- لست بالطاغية أبداً.

- لكنك تحبين تسيير الأمور بطريقتك؟

- ليس هكذا تماماً.

- لينيت ردجوي: هل يمكنك النظر في وجهي وذكر مناسبة واحدة فشلتِ فيها في تنفيذ ما تريدينه؟

- مرات كثيرة.

- نعم، مرات كثيرة... تقولينها هكذا ولكن دون ذكر واقعة محدَّدة. ومهما حاولت أن تتذكري فسوف تفشلين في تذكّر أي واقعة واحدة! التقدم الكاسح المنتصر للينيت ردجوي بسيارتها الذهبية.

قالت لينيت بحدة: هل تظنين أنني أنانية؟

- لا، أنت فقط أقوى من أن يقاومك أحد: التأثير المشترك للمال والجمال... ما لا تستطيعين شراءه بالمال تشترينه بابتسامة، والنتيجة: لينيت ردجوي هي الفتاة التي تملك كل شيء.

- لا تكوني سخيفة يا جوانا!

- ألا تملكين كل شيء؟

- بلى، أظن هذا، وهو ما يبدو مزعجاً على نحو ما.

- إنه مزعج بالطبع يا عزيزتي! ربما ستشعرين بالسأم والضجر شيئاً فشيئاً، ولكن إلى أن تحين تلك اللحظة استمتعي بتقدمك الكاسح في السيارة الذهبية. إلّا أنني أتساءل حقاً عمّا سيحدث عندما ترغبين بالمرور في شارع ذي لوحة كُتب عليها: «ممنوع المرور»؟

- لا تتحامقي يا جوانا.

وعندما انضم اللورد ويندلشام إليهما قالت لينيت وهي تلتفت إليه: إن جوانا توجه لي أقذع الكلام.

قالت جوانا ببعض الإبهام وهي تنهض عن مقعدها: من باب الإغاظة يا عزيزتي... كله من باب الإغاظة!

ثم غادرت دون أن تعتذر لهما، وإن كانت قد انتبهت لالتماعة في عينَي ويندلشام.

صمت ويندلشام بعض الوقت ثم دخل في الموضوع مباشرة: هل توصلت إلى قرار يا لينيت؟

ردّت عليه ببطء: هل أنا قاسية؟ أظن أنه كان عليّ أن أقول «لا» طالما كنت غير واثقة من مشاعري؟

قاطعها قائلاً: لا تقوليها. سيكون لديك الوقت، استغرقي من الوقت ما تشائين، لكني أظن أننا سنكون سعيدَين معاً.

قالت لينيت بأسلوب اعتذاري يكاد يكون طفولياً: إنني

مستمتعة كثيراً، ولا سيما مع كل هذا.

أشارت بيدها إلى ما حولها وأضافت: أردت جعل هذا البيت بيتاً ريفياً مثالياً، وأظن أنني جعلته يبدو رائعاً، أليس كذلك؟

- إنه جميل ومخطَّط بشكل جيد؛ كل شيء يبدو مثالياً. أنت ذكية جداً يا لينيت.

سكت دقيقة ثم أكمل يقول: وأنت تحبين منزل تشارلتونبري، أليس كذلك؟ بالطبع هو بحاجة إلى تحديث، ولكنك بارعة جداً في مثل هذه الأمور، بل إنك تستمتعين بها.

- إن تشارلتونبري رائع بالطبع.

كانت تتكلم بحماسة جاهزة، لكنها أحست -في قرارة نفسها- ببرود مفاجئ. تردّدت داخلها نبرةٌ غريبة أفسدت قناعتها التامة بالحياة. لم تحلل مشاعرها في تلك اللحظة لكنها حاولت الغوص في مشاعرها الداخلية بعد ذلك عندما غادرها ويندلشام: تشارلتونبري؟ نعم، كان هذا هو السبب؛ كانت تكره ذكر منزل تشارلتونبري، ولكن لماذا؟ لقد كان ذلك البيت مشهوراً، فقد حافظ عليه أجداد ويندلشام منذ عهد الملكة إليزابيث. إنها لَمكانة اجتماعية مرموقة أن تصبح سيدة تشارلتونبري، فقد كان ويندلشام واحداً من أكثر النبلاء المحبوبين في إنكلترا.

كان طبيعياً أن لا يأخذ منزل وُدهول مأخذ الجد، فلم يكن بينه وبين تشارلتونبري أي مجال لمقارنة. آه، لكن ودهول بيتها! هي التي رأته، واشترته، وأعادت بناءه وتزيينه، وأنفقت عليه الأموال...

كان ملكها الخاص، مملكتها.

لكن ذلك لن يُؤبَه له إن هي تزوجت ويندلشام، فماذا الذي يريدانه من بيتين ريفيين؟ وإذا كان لا بد من التخلي عن واحد منهما فمن الطبيعي أن يتم التخلي عن ودهول. إن لينيت ردجوي لن يكون لها وجود بعد ذلك، ستكون كونتيسة ويندلشام، ستكون زوجة الملك ولن تظل الملكة بعد ذلك.

قالت تحدث نفسها: إنني أتصرف بسخف!

ولكن كان من الغريب أن تكره التنازل عن ودهول. ثم ألم يكن هناك شيء آخر يلحّ عليها؟ صوت جاكي، وتلك النبرة الغامضة فيه وهي تقول: سأموت إن لم أتزوجه؛ سأموت، سأموت!

كانت قاطعة جداً وجادة. هل أحست هي، لينيت، بمثل هذا الشعور نحو ويندلشام؟ لم تفعل بالتأكيد، وربما لا تستطيع الإحساس بمثل هذا الشعور تجاه أي شخص آخر على الإطلاق. لا بد أنه شعور رائع أن يحس المرء بذلك.

وصل إلى سمعها صوتُ سيارة عبر النافذة المفتوحة فهزّت رأسها بسأم؛ لا بد أنها جاكي جاءت مع خطيبها، فلتخرج للقائهما.

كانت تقف بالباب بينما كانت جاكلين وسيمون دويل يترجّلان من السيارة. أسرعت جاكلين إلى صديقتها وهي تقول: لينيت، هذا سيمون. سيمون، ها هي لينيت، إنها أعظم إنسانة في الدنيا.

شاهدت لينيت رجلاً طويل القامة عريض المنكبين ذا عينين زرقاوين غامقتين وشعر بني متجعد وذقن عريض وابتسامة صبيانية

عذبة بسيطة. مدّت يدها تصافحه، كانت اليد التي أمسكت بيدها قوية دافئة، وأحبت الطريقة التي نظر إليها بها، نظرات الإعجاب الصادق الساذج.

لا بد أن جاكي أخبرته بأنها رائعة، وكان واضحاً أنه رآها كذلك. سرت في عروقها مشاعر نشوة عذبة. قالت: أليس هذا رائعاً؟ ادخل يا سيمون، أريد أن أرحب بوكيل عقاراتي الجديد ترحيباً يليق به.

وعندما استدارت لتقودهما فكرت قائلة لنفسها: أنا معجبة بفتى جاكي، معجبة به كثيراً.

ثم أحسّت بغصّة مفاجئة: يا لجاكي المحظوظة!

-٨-

استند تيم أليرتون على كرسي الخيزران وتثاءب وهو ينظر إلى البحر، ثم نظر إلى أمه بطرف عينيه نظرة سريعة.

كانت السيدة أليرتون امرأة جميلة المظهر في الخمسين من عمرها، وقد تسرب الشيب إلى رأسها. نظرت إلى ابنها نظرة تجهّم كما هي عادتها كلما نظرت إليه محاوِلة إخفاء حقيقة حبها الشديد له. حتى الغرباء لم يكن ليخدعهم أسلوبها هذا، وكان تيم نفسه يعرف ذلك تماماً. قال: هل تحبين مايوركا حقاً يا أمي؟

فكرت السيدة أليرتون وقالت: إنها رخيصة.

ردّ عليها تيم وهو يرتعش: وباردة.

كان شاباً طويل القامة نحيلاً أسود الشعر ذا صدر ضيق قليلاً،

وكان فمه جميل الشكل وعيناه حزينتين وذقنه يوحي بالتردد، وكانت يداه طويلتين ناعمتين. ولأن مرض السل أصابه قبل سنوات فقد ظل جسده نحيفاً ضعيفاً. كان المعروف عنه أنه يكتب، ولكن تفاهماً بين أصدقائه كان يقضي بعدم تشجيع طرح أسئلة حول نتاجاته الأدبية.

- ما الذي تفكر فيه يا تيم؟

كانت السيدة أليرتون يقظة، وبدت الريبة في عينيها البنيتين.

ابتسم تيم أليرتون لها وقال: كنت أفكر بمصر.

بدت السيدة أليرتون مرتابة وهي تقول: مصر؟

- الدفء الحقيقي يا أمي العزيزة، الرمال الذهبية الكسولة، النيل... أحب الذهاب إلى النيل، ألا يعجبك ذلك؟

- آه، بل أحبه.

كانت نبرتها باردة، وأضافت تقول: لكن تكاليف السفر إلى مصر غالية يا عزيزي، إنها ليست للفقراء مثلنا.

ضحك تيم، ثم نهض وتمطى وبدا فجأة مليئاً بالحيوية واللهفة. كانت الحماسة واضحة في نبرة صوته: تكاليف السفر ستكون شأني أنا، نعم يا عزيزتي؛ لقد بلغني صباح اليوم أن تذبذباً بسيطاً حدث في أسعار البورصة، مما يعطي نتائج مرضية جداً.

قالت السيدة أليرتون بحدة: هذا الصباح؟ لقد تلقيت رسالة واحدة فقط وهذه الرسالة...

سكتت وعضت على شفتيها. لم يعرف تيم هل يُظهر علامة

الارتياح أم الانزعاج، لكن الارتياح هو الذي فاز في النهاية. أكمل عبارتها قائلاً ببرود: وهذه الرسالة من جوانا. كلامك صحيح يا أمي؛ أنت بارعة في التحري. لو كنت موجودة قرب هيركيول بوارو الشهير لكان عليه أن يحذر من خطف أمجاده!

بدت السيدة أليرتون منفعلة وهي تقول: لقد رأيت خط يدها مصادَفة.

- وعلمت أن الخط لم يكن لأحد سماسرة البورصة؟ صحيح، الواقع أنني سمعت الأخبار منهم بالأمس وليس اليوم. إن كتابة جوانا البدائية ملفتة للنظر: خربشات طويلة تغطي الظرف كله.

- ما الذي تقوله جوانا؟ هل من أخبار؟

جاهدت السيدة أليرتون نفسها لكي يبدو صوتها طبيعياً، فالصداقة التي تجمع ابنها بابنة خال أبيه جوانا ساوثْوُد كانت تغيظها دائماً.

لم يظهر تيم قط أي اهتمام عاطفي بجوانا ولا هي أظهرت اهتماماً به، ويبدو أن علاقتهما كانت تقوم على الثرثرة وامتلاكهما عدداً كبيراً من الأصدقاء المشترَكين. كان الاثنان يحبان الناس ومناقشة أحوال الناس، وكانت جوانا ذات لسان حلو الحديث رغم سلاطته.

لم تكن خشية السيدة أليرتون من احتمال وقوع تيم في حب جوانا هي السبب الذي يجعلها تتصلب في سلوكها قليلاً عند حضور جوانا أو عندما تصل منها رسائل، بل كان السبب إحساساً آخر

يصعب وصفه أو تحديده؛ ربما كان غيرة غير مُعترَف بها بسبب المتعة الصادقة التي بدا أن تيم يجدها دوماً وهو برفقة جوانا. كان هو وأمه رفيقين مثاليين بحيث كانت رؤيته مهتماً بامرأة أخرى تخيفها بعض الشيء، كما كانت تتخيل أن حضورها في مثل هذه المناسبات كان يشكل حاجزاً بين ابنها وجوانا. كانت كثيراً تأتي لتجدهما مستغرقين ومشغولين في حديث ما، ولدى اقترابها يضطرب حديثهما ويبدو وكأنه مصمم عمداً لإشراكها فيه، وكأنه واجب فُرض عليهما!

من المؤكَّد تماماً أن السيدة أليرتون لم تكن تحب جوانا ساوثْوُد. كانت تعتقد أنها فتاة منافقة مرائية متكلّفة، وقد وجدت صعوبة شديدة في كتم مشاعرها تلك ولزوم الصمت.

وردّاً على سؤالها أخرج تيم الرسالة من جيبه وألقى نظرة عليها، ولاحظت أمه أنها كانت رسالة طويلة جداً. قال: ليس فيها الكثير؛ ديفينش وزوجته سيحصلان على الطلاق، قُدِّم العجوز مونتي إلى المحاكمة بتهمة قيادة السيارة وهو في حالة سُكر، ويندلشام سافر إلى كندا ويبدو أنه أصيب بصدمة شديدة لأن لينيت ردجوي رفضت الزواج به... من الواضح أنها ستتزوج وكيل العقارات ذاك.

- يا له من أمر غريب! أهو رجل بغيض؟

- لا، لا، أبداً. إنه أحد أفراد عائلة دويل في ديفونشاير، لكنه لا يملك ثروة بالطبع. وفي الواقع فقد كان خطيباً لإحدى صديقات لينيت المقرَّبات.

قالت السيدة أليرتون وقد احمرّ وجهها: لا أظنه أمراً لطيفاً.

نظر تيم إليها نظرة مودة سريعة وقال: أعرف يا أمي العزيزة؛ أنت لا تقرّين سرقة أزواج الآخرين!

- كانت لنا في أيامنا معاييرنا الخاصة، وكانت معايير جيدة، أما في هذه الأيام فيبدو أن الشبان يحسبون أن بإمكانهم فعل أي شيء يريدونه.

ابتسم تيم وقال: إنهم لا يحسبون ذلك فقط، بل هم يفعلونه... انظري إلى لينيت ردجوي!

- إنني أراه عملاً شنيعاً.

غمزها تيم وقال: لا عليك أيتها العجوز الرجعية! أنا أتفق معك، وعلى أي حال فلم أسرق أنا من أحد زوجتَه أو خطيبته بعد.

قالت بحماسة: أنا واثقة أنك لن تفعل هذا أبداً؛ لقد ربيتك تربية صحيحة.

- إذن فالفضل يرجع إليك لا إليّ أنا؟

ابتسم لها ابتسامة استفزاز وهو يطوي الرسالة ويضعها جانباً، وفكرت السيدة أليرتون في قرارة نفسها: إنه يريني معظم الرسائل، أما رسائل جوانا فهو يكتفي بأن يقرأ لي نُتَفاً منها.

ثم صرفت عن ذهنها هذه الفكرة البسيطة وقررت أن تتصرف كامرأة محترمة كالعادة. سألته: هل تستمتع جوانا بحياتها؟

- إلى حد ما. تقول بأنها تفكر في فتح متجر لبيع الأطعمة الجاهزة في ميفير.

قالت السيدة أليرتون بنبرة مناكفة: إنها تتحدث دائماً كأنها فقيرة محتاجة، لكنها تسافر هنا وهناك وتشتري كل هذه الملابس الغالية... إنها ترتدي دوماً أفخم الملابس.

- ربما تترك فواتيرها دون أن تدفعها!

تنهدت السيدة أليرتون وقالت: لا أعرف كيف ينجح الناس في صنع ذلك.

- إنها نوع من الموهبة الخاصة. إن كان لديك ما يكفي من الذوق المكلف الباهظ وليس عندك أي إحساس بقيمة المال فسيعطيك الناس كل ما تريدينه من ثقة.

- نعم، لكنك ستقدَّم إلى المحكمة في نهاية الأمر مثل السير جورج وُدْ المسكين.

- أنت تحسّين بالشفقة على تاجر الخيل العجوز ذاك، ربما لأنه شبَّهك ببرعم الورد وهو يراقصك عام ١٨٧٩.

قالت السيدة أليرتون بحماسة: أنا لم أكن مولودة عام ١٨٧٩! كما أن السير جورج رجل طيب ولن أسمح لك بالسخرية منه.

- لقد سمعت عنه قصصاً غريبة من أناس يعرفونه.

- أنت وجوانا لا تهتمان بما تقولانه عن الناس، تريان كل حديث صالحاً للتداول إن كان حديثاً مسيئاً.

رفع تيم حاجبيه دهشة وقال: يا إلهي! إنك منفعلة جداً، لم أعرف أن ذلك العجوز يعجبك لهذه الدرجة.

- أنت لا تدرك كم كان صعباً عليه بيعه منزل وُدْهول... لقد كان يحب ذلك البيت حباً كبيراً.

امتنع تيم عن الردّ عليها، فمن هو حتى يحكم على الناس؟ وبدلاً من ذلك قال متأملاً: لا أظنك مخطئة كثيراً في هذا الافتراض، فقد طلبت لينيت منه أن يأتي لزيارتها ليرى ما فعلته بالبيت، وقد رفض دعوتها بوقاحة.

- بالطبع، كان يجب أن تعرف ذلك قبل أن تدعوه.

- وأظن أنه يحقد عليها، فعندما يراها يتمتم بكلمات غير مفهومة، ولا يبدو أنه يستطيع أن يسامحها رغم أنها أعطته أعلى سعر ممكن لهذا البيت البالي الذي ينخره الدود.

سألته السيدة أليرتون بحدة: وأنت لا تستطيع فهم ذلك؟

ردّ عليها تيم بهدوء: بصراحة لا أستطيع. لماذا العيش في الماضي؟ لماذا التعلق بأشياء أصبحت من الماضي.

- وبماذا ستستبدل تلك الأشياء؟

هز كتفيه بلامبالاة وقال: ربما بالإثارة، بالتجديد... وبدلاً من وراثة قطعة أرض غير مفيدة يجد المرء متعة في تكوين ثروته بنفسه باستخدام مهاراته الخاصة وذكائه.

- كصفقة ناجحة في البورصة مثلاً؟

ضحك وقال: ولِمَ لا؟

- وماذا لو خسرت في هذه البورصة؟

- هذا لا يحدث إلّا مع الذين يتفقرون إلى المهارة، وهو لا يحدث كثيراً اليوم. حسناً، ماذا عن خطة مصر هذه؟

- حسناً...

قاطعها وهو يبتسم: لقد حُسِمَ الأمر؛ لقد أردنا دوماً، نحن الاثنين، أن نرى مصر.

- متى تقترح السفر؟

- الشهر القادم، فأول شهور السنة هو أفضل شهر هناك. سوف نأنس بالرفقة الطيبة في هذا الفندق عدة أسابيع أخرى.

قالت السيدة أليرتون مؤنِّبة: تيم!

ثم أضافت بشيء من الشعور بالذنب: لقد وعدتَ السيدة ليتش بأن تذهب معها إلى مركز الشرطة، فهي لا تفهم الإسبانية

أظهر تيم امتعاضه وقال: بشأن خاتمها؟ خاتم الياقوت الأحمر الخاص بابنة ليتش؟ أما زالت تصر على أنه سُرق؟ سأذهب إن شئت، لكنه مضيعة للوقت فلن تكسب من ذلك إلّا توريط إحدى خادمات الغرف في المتاعب. لقد رأيته رأي العين في إصبعها عندما دخلت البحر ذلك اليوم، لا بد أنه انزلق من يدها وهي في الماء دون أن تلحظه.

- لكنها تقول إنها متأكدة تماماً أنها نزعته من إصبعها وتركته على طاولة الزينة في غرفتها.

- هذا غير صحيح؛ لقد رأيته بيدها بأم عيني. هذه المرأة

غبية! إن أي امرأة تكون غبية عندما تهرع لتسبح في البحر في شهر كانون متظاهرة بأن الماء دافئ لمجرد أن الشمس كانت تشرق في تلك اللحظة!

تنهدت السيدة أليرتون وقالت: ليتنا كنا في لندن الآن!

هزّ تيم أليرتون رأسه بقوة وقال: أنا غير مهتم، إنني مرتاح بوجودي معك هنا دون أن يشغلنا شاغل.

- كنت ستحب وجود جوانا هنا.

- لا.

كانت نبرته جازمة على نحو غير متوقَّع، ثم أضاف: إنك مخطئة تماماً في هذا الظن، فجوانا تسليني لكني لا أحبها، ووجودها لفترات طويلة يثير أعصابي. الحمد لله أنها ليست هنا. سأكون مرتاحاً تماماً لو قُدِّر لي أن لا أرى جوانا مرة أخرى أبداً.

ثم أضاف بصوت خافت: هناك امرأة واحدة في العالم فقط أكنّ لها احتراماً وإعجاباً حقيقيين، وأظن -يا سيدة أليرتون- أنك تعرفين جيداً من هي هذه المرأة.

احمرّ وجه أمه خجلاً وبدت مرتبكة. قال تيم بجِدّ: لا توجد الكثير من النساء اللطيفات حقاً في العالم، ولكنك واحدة منهن.

-٩-

في شقة مطلة على الحديقة المركزية (سنتْرَل بارك) في نيويورك صاحت السيدة روبسون: أليس هذا رائعاً! إنك أكثر الفتيات حظاً يا كورنيليا.

احمرّ وجه كورنيليا روبسون. كانت فتاة كبيرة الجسم خرقاء ذات عينين بنّيتين واسعتين. قالت لاهثة: سيكون رائعاً.

أمالت الآنسة فان شويلر العجوز رأسها تعبيراً عن رضاها عن هذا الموقف الصحيح من جانب الأقارب الفقراء، وتنهدت كورنيليا وهي تقول: كنت أحلم دائماً برحلة إلى أوروبا، لكني لم أشعر بأنني يمكن أن أذهب إليها أبداً.

قالت الآنسة فان شويلر: الآنسة باورز ستأتي معي كالمعتاد طبعاً، ولكني أجدها ضيقة التفكير من ناحية الرفقة الاجتماعية، ضيقة التفكير كثيراً. هناك الكثير من الأشياء الصغيرة التي تستطيع كورنيليا عملها لي.

قالت كورنيليا بحماسة: يسعدني ذلك جداً يا ابنة العم ماري!

ردّت الآنسة فان شويلر: جيد، جيد، إذن فقد اتفقنا. اذهبي يا عزيزتي وابحثي عن الآنسة باورز بسرعة، لقد حان موعد تناولي شراب البيض.

ذهبت كورنيليا، وقالت أمها: أنا ممتنة لك بالغ الامتنان يا عزيزتي ماري! أظن أن كورنيليا تعاني الكثير من عدم نجاحها

اجتماعياً، وهو أمر يجعلها تشعر بالإحباط. لو كنت أستطيع تحمّل نفقات السفر لأخذتها إلى بلاد كثيرة، لكنك تعرفين كيف أصبح حالنا منذ وفاة نيد.

- بل أنا مسرورة جداً لاصطحابها معي. لقد كانت دوماً فتاة لطيفة تحب المساعدة وترغب بتنفيذ المهمات، كما أنها ليست أنانية مثل كثير من شباب اليوم.

نهضت السيدة روبسون فقبّلت الوجه الأجعد المصفَرّ لقريبتها الثرية العجوز وقالت: أنا شاكرة لك جداً.

وعلى الدرج قابلت امرأة طويلة القامة قوية الجسم كانت تحمل كوباً يحتوي على شراب البيض، فسألتها قائلة: إذن فأنت مسافرة إلى أوروبا يا آنسة باورز؟

- آه، نعم يا سيدة روبسون.

- يا لها من رحلة ممتعة!

- نعم، أعتقد أنها ستكون ممتعة جداً.

- لكنك سافرت خارج البلاد من قبل، أليس كذلك؟

- آه، بلى يا سيدتي؛ ذهبت إلى باريس مع الآنسة فان شويلر في الخريف الماضي، لكني لم أذهب إلى مصر من قبل.

ترددت السيدة روبسون قليلاً ثم قالت: أرجو أن لا تحدث أية مشاكل.

كانت قد خفضت صوتها، ومع ذلك ردّت الآنسة باورز

بنبرتها المعتادة: آه، لا تخافي يا سيدتي؛ سأنتبه لهذا الأمر... أنا دائماً متيقظة تماماً.

ولكن قلقاً باهتاً بقي مرتسماً على وجه السيدة روبسون وهي تتابع طريقها أسفل الدرج ببطء.

-١٠-

كان السيد أندرو بيننغتون جالساً في مكتبه وسط المدينة يفتح بريده الشخصي، وفجأة كوّر قبضته وضرب الطاولة ضربة قوية، واحمر وجهه وبرز عرقان في جبينه. ثم ضغط جرساً موجوداً على طاولته فجاءت السكرتيرة الأنيقة باستعداد كامل. خاطبها قائلاً: قولي للسيد روكفورد بأن يأتي إلى هنا.

- نعم يا سيد بيننغتون.

بعد بضع دقائق دخل سترنديل روكفورد شريك بيننغتون إلى المكتب. كان الرجلان متشابهين، كلاهما طويل القامة أشيب الشعر حليق اللحية ذكي الملامح. سأل قائلاً: ما الأمر يا بيننغتون؟

رفع بيننغتون عينيه عن الرسالة التي كان يقرؤها للمرة الثانية وقال: لقد تزوجت لينيت.

- ماذا؟

- لقد سمعتَ ما قلتُه... لينيت ردجوي تزوجت!

- كيف؟ متى؟ لماذا لم نعلم بالخبر؟

نظر بيننغتون إلى تقويم على طاولته وقال: لم تكن متزوجة عندما كتبَت هذه الرسالة، لكنها الآن متزوجة. صباح الرابع من الشهر... هذا يعني اليوم.

ألقى روكفورد بنفسه على الكرسي وقال: آه، دون إنذار! ومن يكون الرجل؟

عاد بيننغتون إلى الرسالة وقال: دويل... سيمون دويل.

- ومن يكون هذا الرجل؟ هل سمعت به من قبل؟

- لا، إنها لا تقول في رسالتها الكثير.

ثم نظر إلى الكتابة الواضحة وقال: أعتقد أن في هذا الأمر شيئاً خفياً. هذا لا يهم، كل ما يهم هو أنها تزوجت.

نظر كل منهما إلى الآخر، ثم أومأ روكفورد وقال بهدوء: يحتاج الأمر لبعض التفكير.

- وماذا سنفعل حيال هذا الأمر؟

- أنا الذي أسألك.

جلس الرجلان صامتَين، ثم سأل روكفورد صاحبه: هل لديك أي خطة؟

قال بيننغتون ببطء: الباخرة نورماندي ستبحر اليوم، يمكن لواحد منا أن يقوم بالأمر.

- أنت مجنون! وما الهدف من ذلك؟

بدأ بيننغتون كلامه قائلاً: هؤلاء المحامون البريطانيون...

ثم سكت.

- وماذا عنها؟ لا أظنك ذاهباً لمعالجة أمرهما؟ هذا جنون!

- لا أعني أن على واحد منا الذهب إلى إنكلترا.

- إذن ما هي فكرتك؟

مسَّد بيننغتون الرسالة على مكتبه وقال: ستذهب لينيت لقضاء شهر العسل في مصر، وهي تتوقع أن تظل هناك شهراً أو أكثر؟

- مصر؟

فكر روكفورد، ثم رفع بصره ونظر إلى شريكه قائلاً: مصر... أهذه هي فكرتك!

- نعم؛ لقاء بالمصادفة في إحدى الرحلات. لينيت وزوجها، أجواء شهر العسل... يمكن القيام بذلك.

قال روكفورد بارتياب: إن لينيت ذكية، ذكية فعلاً، ولكن...

أكمل بيننغتون بهدوء: قد توجد طرق لتدبر الأمر.

نظر كل منهما إلى صاحبه مرة أخرى، ثم أومأ روكفورد برأسه قائلاً: حسناً يا صاحبي.

نظر بيننغتون إلى الساعة المعلَّقة على الجدار وقال: يجب أن نسرع، مَن منّا سيذهب؟

أجابه روكفورد على الفور: اذهب أنت، فأنت تنجح مع

لينيت دائماً. العم أندرو... هذا هو مفتاح قبولك!

تصلب وجه بيننغتون وقال: أرجو أن أتمكن من إنجاز المهمة بنجاح.

قال شريكه: يجب عليك أن تنجزها بنجاح، فالوضع حرج.

-١١-

قال وليَم كارمايكل مخاطباً الشاب النحيف الذي فتح له الباب مستغرباً: أرجو أن ترسل لي السيد جيم.

دخل جيم فانثورب الغرفة ونظر إلى خاله متسائلاً، رفع الخال بصره وهو يومئ برأسه ويتأفف: ها! أنت هنا؟

- هل طلبتني؟

- ألقِ نظر على هذه فقط.

جلس الشاب وسحب حزمة الأوراق نحوه، وراقبه الرجل العجوز ثم قال: حسناً؟

جاءه الرد على الفور: يبدو لي الأمر باعثاً على الريبة.

مرة أخرى تأفف الشريك الأقدم لشركة غرانت وكارمايكل بطريقته المعتادة. أعاد جيم فانثورب قراءة الرسالة التي وصلت من مصر بالبريد الجوي مرة أخرى، وكانت تقول:

يبدو أنه ليس من اللباقة كتابة رسائل عمل في مثل

هذا اليوم. لقد قضينا أسبوعاً في فندق ميناهاوس وذهبنا برحلة إلى الفيوم، وسنذهب بعد غد في رحلة نهرية في النيل إلى الأقصر وأسوان بسفينة بخارية، وربما مضينا قُدُماً إلى الخرطوم.

وحين ذهبنا إلى شركة كوك السياحية هذا الصباح لنراجع بشأن تذاكرنا فمَن تظنه كان أول شخص أراه؟ إنه أندرو بيننغتون الوصيّ الأمريكي على أملاكي. أظن أنك التقيت به قبل سنتين عندما كان عندنا. لم أكن أعرف أنه موجود في مصر ولم يكن هو يعرف أنني في مصر، ولم يعرف أنني متزوجة أيضاً. لا بد أنه سافر قبل استلام رسالتي التي أخبرته فيها بزواجي. والغريب أنه سيذهب في رحلة النيل التي سنذهب فيها، أليست هذه مصادفة غريبة؟ أشكرك كثيراً على ما فعلته في هذا الوقت العصيب. أنا...

وفيما كان الشاب على وشك قلب الصفحة أخذ السيد كارمايكل الرسالة منه وقال: هذا يكفي... البقية لا تهم. ماذا ترى؟

فكر الشاب لحظة ثم قال: لا أظنها مصادفة.

أومأ الآخر بالموافقة وقال: هل تحب السفر إلى مصر؟

- أتظن أن هذا من الحكمة؟

- أظن أنْ لا وقت لدينا لنضيعه.

- ولكن، لماذا أنا؟

- استخدم عقلك يا ولدي، استخدم عقلك. إن لينيت ردجوي لم تقابلك من قبل، ولا بيننغتون. لو سافرت بالطائرة فقد تصل في الوقت المحدد.

- لا أحب ذلك.

- ربما، ولكن عليك أن تفعله.

- أهذا ضروري؟

- إنه أمر بالغ الحيوية فيما أظن.

-١٢-

قالت السيدة أوتربورن وهي تعدّل قبعتها: لا أعلم سبباً يمنعنا من السفر إلى مصر... لقد تعبت وسئمت من القدس.

وعندما لم تجبها ابنتها قالت: يمكنك أن تجيبيني على الأقل عندما أتحدث معك.

كانت روزالي أوتربورن تنظر إلى صورة منشورة في إحدى الصحف ومكتوب تحتها: «السيدة دويل (التي كانت قبل زواجها سيدة المجتمع الجميلة المعروفة الآنسة لينيت ردجوي) تقضي مع زوجها سيمون دويل إجازة في ربوع مصر».

قالت روزالي: هل ترغبين بالسفر إلى مصر يا أمي؟

- نعم. أظن أنهم عاملونا هنا دون أي اهتمام، رغم أن وجودي هنا دعاية لهم. كان يجب أن أحصل على خصم خاص، وعندما ألمحت إليهم بهذا أصبحوا يعاملونني معاملة وقحة...بل وقحة جداً. وقد أخبرتهم برأيي فيهم بلا مواربة.

تنهدت الفتاة وقالت: كل الأماكن متشابهة، ليتنا نسافر على الفور!

- وصباح اليوم كان المدير من الوقاحة بحيث قال لي إن جميع الغرف قد حُجزت مقدَّماً وإنه سيطلب منّا إخلاء غرفتنا خلال يومين.

- إذن علينا أن نذهب إلى مكان ما.

- أبداً، فأنا على استعداد للقتال من أجل حقوقي.

- أظن أن من الأفضل السفر إلى مصر.

- إنها ليست مسألة حياة أو موت بالتأكيد.

لكنها كانت مخطئة فيما قالت، لأن القضية كانت قضية حياة أو موت بمعنى الكلمة!

* * *

نشكرك على الاهتمام بمنشوراتنا، ونأمُل أن تكون الصفحات التي قرأتها قد وفّرت لك قراءة ممتعة وعرَّفَتك بالرّواية.

يمكنك شراء نسخة ورقية من هذه الرواية (وسواها من الروايات) من موقعنا مباشرة، ونرجو عدم التردد بالاتصال بنا لو احتجت لأي مساعدة.

الأجيال
www.al-ajyal.com